ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: www.jtuh.org/

The Narrative Imaginary in The Clay Reader by Hassan Faleh

Dr. Musa Abd Darub

The General Directorate of Education of Salah Al-Deen Department of Shirqat

* *Corresponding author: E-mail* : mosadarub@gmail.com

Keywords:
The Narrative Imaginary,
The Mud Reader Novel,
Hassan Faleh

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 4 July. 2022
Accepted 19 July 2022
Available online 15 Mar 2023
E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©2023 COLLEGE OF Education for Human Sciences, TIKRIT UNIVERSITY. THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

A B S T R A C T

The research deals with the narrative imagination, which included fantasy with its mythical, exotic, and miraculous components. The research dealt with important samples and stations from the novel *The Clay Reader* by Hassan Faleh, and the semantic and rhythmic recurring fragments that accompanied the title.

The research follows the integrative approach, with a focus on the structural/semiotic approach, and the narrative techniques were studied with two sides: realistic biographical and imaginary depending on the fantasy formation and its components, formats, and implications that dealt with the events that the Jews were exposed to in Iraq, which was represented by the Farhud incident in the 1940s sequentially with the events of the popular uprising in center and south of Iraq. The research follows the events of the novel, its plot and its space, with the leadership of the four characters (the central / hero) in weaving the threads of the narrative game, real and imagined.

© 2023 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.30.2.1.2023.06

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for

المتخيّل السردي في رواية قارئ الطين، لحسن فالح

م.د. موسى عبد درب حمادة الجبوري/ المديرية العامة للتربية في محافظة صلاح الدين

الخلاصة:

اشتغل البحث على المتخيّل السردي الذي اشتمل على الفنطازيا بمكوناتها الأسطورية والغرائبية والعجائبية، إذ تناول البحث عيّنات ومحطّات مهمة من رواية قارئ الطين لحسن فالح, وما رافق العنوان من تشظيّات دلالية وإيقاعية متكررة.

وكان البحث وفق المنهج التكاملي مع التركيز على المنهج البنيوي/السيميائي، وتم الاشتغال على تقانات السرد الروائي بجانبيها (الواقعي/ السيري) و(المتخيل) بالاعتماد على التشكيل الفنطازي ومكوناته وأنساقه ومضمراته التي عالجت الاحداث التي تعرض اليها اليهود في العراق, والتي تمثّلت بحادثة الفرهود

في الاربعينيات, بالتراتب مع أحداث الانتفاضة الشعبانية في وسط وجنوب العراق، وتتبّع البحث أحداث الرواية وحِبكتها وفضائها بما قادته الشخصيات الأربع المحوريّة والثانوية, في نسج خيوط اللعبة السردية واقعاً ومتخيلاً.

الكلمات المفتاحية: المتخيّل السردي ،رواية قارئ الطين، حسن فالح

مدخل :

استوعبت الرواية الجديدة الواقع بكل تجرداته وعقلانياته وتجاوزاته إلى اللاواقع, واعادت رسمه وتشكيله والانفلات من الجمود بكسر تلك الرتابة عبر المتخيّل, وتقديم الواقع بصورة جديدة أكثر تحرشاً بالحقيقة بكشف الانساق الثقافية والاجتماعية المخفيّة، وخرق البنى التجريدية للواقع المحض, ورسم ملامح وعالم لا واقعي، يعبّر عن الحقيقة، يتحرش بالواقع ويكشف خباياه وملامحه الحقيقية( ).[1]

إنّ الهدف من المتخيّل وهو صنو الفنتازيا والوجه الآخر لها, هو بلوغ المضامين وتقديمها كشواهد للقرّاء, وتحويل المتخيّل إلى معان عبر الصور والمشاهد التي يشكلها هذا النوع من الأدب, والمتخيل هو مرادف الوهم واللاواقع والضلال والسراب، ويطلق على ما ليس من الصور, بل ويظهر أنساق المعتقدات والأفكار التخمينية، والآراء والأفكار غير الملائمة والمفاهيم المبهمة والتصورات الخاطئة, ويناقشها بعقلانية جديدة ومن زاوية أخرى بتشكيل بنية رمزية تفصل المتخيل عن الواقع, وتستمد عزمها منه وتعرّيه وتتحرش به(.)[2]

وتُعدّ الأسطورة بأشكالها العجائبية والغرائبية المغامرة الإبداعية الأولى للمخيلة البشرية، وابتكرت هذه المخيّلة مغامرات جديدة، وما الأدب إلاّ هو اسطورة منزاحة عن الأسطورة الأولية(.)[3]

ولابد أن نعرّج على مفهوم المتخيّل والفرق بينه وبين الخيال, في كون المتخيّل هو نتاج الخيال وجماله وهو صفة تدل على مالا يوجد إلاّ في الخيال, أي ما هو غير واقعي, فهو مجموعة العناصر المكونة للخيال، أي أنه ملكة تمثل الأشياء في الذهن باستقلال عن الواقع، وإشراكه مع الواقعي والرمزي في إطار مكاني(.)[4]

إنّ كشف المُضمر بإدهاش القارئ يحقق جوّاً من التغريب واللعب في اللغة, واثارة ذهن المتلقي فكرياً وجمالياً برؤية جديدة تعيد قراءة الواقع من زواياه المختلفة(.[5]

إنّ رواية قارئ الطين لحسن فالح هي رواية (فانتاستيكية فنتازية) اشتغل الكاتب فيها على إعادة صياغة التاريخ وبنيته الاجتماعية في مرحلة مهمة من تأريخ العراق, واستخدم الكاتب التراث والأساطير والفلكلور وتعدد الثقافات داخل المجتمع, ليتحرش بحقيقة مضمرة تم كشفها عبر السرد الروائي والاسطوري مستفيداً من التراث والميثولوجيا والاساطير والحكايات الغرائبية والعجائبية, بما تخدم النص والحدث الروائي لتندغم فيه وتعيد إنتاج الحكاية بسرد متخيّل متكأً على المرجعيات بمتخيلاتها الجمعية والدينية والاعتماد على تغريب الواقع لتجريب عمل سردي يرقى الى مصاف الاعمال الفنتازية والاسطورية المتخيلة, لتؤدي رسالتها المرجوة ثقافياً وبجمالية تعيد صياغة الاحداث وتضع النقاط على ما يراد من كلمات, لتعيد الواقعي إلى اللاواقعي والمنطقي إلى اللامنطقي .

المبحث الأول : العنوان

إنّ عنوان رواية(قارئ الطين) مدخلاً يلمح الكاتب والقارئ من خلاله النص الداخلي للرواية, ويساعد على فنتازية النص وتخييله ولاسيما إذا كان العنوان مبهماً غير واضح, يثير الغرابة والتعجب, ويرمز للأشياء, ويولد تشابكات النص وابعاده الفكرية، فهو مبتدأ لخبر محذوف لم يصرّح به الراوي، فهو((يرمز به إلى الاخفاء والذي هو من ميزات الفنتازيا))(.[6]

والعنوان من سمات النص النثري كيفما كان جنسه ونوعه, لإنّ النثر قائم على القواعد المنطقية والوصل بين العنوان ومتنه, كونه فكرة تركيبية توحّد شتات النص المبعثر, وتدلّ على سيميائه, فضلاً عن العنوان الذي يُعد مدخلاً لدهاليز النص والغوص في متاهاته وكشف رموزه ودلالاته(.[7]

ويقول جينيت ((احذر من العتبات))، ومن لا يحسن التمييز فيها من حيث أنواعها وطبائعها ووظائفها يخطئ أبواب النص فيبقى خارجه(.[8]

ومنذ البدء يدعوك النص وعنوانه (قارئ الطين) إلى معرفة مغزاه وماهيته، فالرواية متخيّلة بامتياز, توجه ايماءاتها وإشاراتها لتمنح القارئ رموزها الغامضة وعجائبيتها التي تتشاكل وتتوزع بين شخصياتها, ويتسائل القارئ محتاراً من هو قارئ الطين؟، بشخصيات الرواية الأربع التي أخذت أدوارها بحسب سياق

النص وبطولة كل شخصية، ولو تفحصنا الرواية لوجدنا إنّ العنوان كان مائزاً في تعدد رموزه ودلالته ومعانيه, استطاع الكاتب أن يناغم إيقاع عنونته باتساق وجمالية وفكرة في غاية الدقة والتنوع ، فقد مُنح لقب قارئ الطين لشخصية (خضوري أفندي) الشخصية العراقية اليهودية والمهتم بالتاريخ والآثار والحضارة وبالخط المسماري, إذ يقول الراوي:((خضوري افندي الذي يرى أنّ السومريين لا يعتبرون من الأقوام السامية والخط المسماري الذي هو خط غير سامي, وهو مهتم بالآثار والمخطوطات اليهودية القديمة وعلاقتها بالحضارة السومرية القديمة في العراق))([9]), وقد استطاع الكاتب أن يمنح هذا الدور لخضوري افندي(قارئ الطين), ليربط أحداث الرواية بمسألة هجرة اليهود وتأريخهم وماتعرضوا له في حادثة الفرهود في أربعينيات القرن الماضي، إذ منحه الكاتب إيقاعاً معنوناً ودلالة فنتازيّة تجعل منه قارئ الطين في بغداد وقارئ الطين في أهوار الجنوب, فالكاتب في لغته الشعرية يحاول أن يوصل رسالته المرجوة والمترابطة بخضوري أفندي الشخصية اليهودية العراقية, والذي يقول عنه الراوي:((إنّ هذا المكان(الهور) انطلق منه أول حرف في التاريخ، شكّل بالنسبة لحضوري أهمية كبيرة لمرحلة خطّها أبناء سومر باكتشاف الحرف ... يحدثّهم عن أجدادهم وعن أول من كانوا قد اكتشفوا الكتابة في هذا المكان، ومن الطين كانت أول تلك الالواح الموشومة بحرف كانت تشبه شكلها المسامير لذلك سمّيت بالمسمارية ... يحدّثهم عن الطين وعن سومر وعن بداية الكتابة ليعزز انتمائهم إلى هذه البقعة الجنوبية))([10]), فالراوي جعل من شخصية خضوري أفندي المعلّم الذي يعلّم أهل الهور كيفية الانتماء لهذه الأرض.

وبتكرّر العنوان في أكثر من موضع في الرواية (لقارئ الطين/ خضوري افندي), إذ يتحدّث الراوي بلسانه عن الهور وتفاصيل الحياة اليومية فيه إذ يقول:((الفلاحون يطرقون بوجوههم مثل حلم ينتهي بمجرد ابتعاده عن الطين، والاقدام ملتصقة بالأرض، مغروسة ثابتة، يشبهون اشجاراً تتحرك بحسب رقعة امتداد الطين))([11]), وكأنّ الراوي هو قارئ الطين عندما يتحدّث عن الهور وحياة الناس البسطاء فيقول:((هناك في الجنوب حيث الطين يكمن الفردوس فوق الماء وبين اختلاف القصب ... الأساطير موضوع جلسات السمر في لياليهم المقمرة، وكل ما صار لم يغادر ذاكرة الجدّات وطعم فالاتهم المغروس بعمق الماء))([12]), وقد تحدث الراوي عن خضوري أفندي وهو يكتب مذكّراته ويتركها في الخان_ بلعبة سردية_ متحدّثاً عن الهور وذكرياته فيه عندما كان معلّماً, وقراءته لكل ما ذكرناه من ذاكرة وحلم وحضارة وتأريخ وميثولوجيا, تبين العلاقة الحميمة لسكان الهور من اليهود وعلاقتهم الدينية والميثولوجية

والحضارية بهكذا بلد وبهكذا تراث, وأرض وحياة وسماء ومدن وأرياف المناطق التي تحدّث عنها الراوي بلسان خضوري أفندي عبر المذكّرات.

وتحدّث الراوي عن الجدة (بسماية) وهي إحدى شخصيات الرواية وأبطالها, وهي أيضاً قارئة الطين, الشخصية الفنتازية التي استمد الكاتب تسميتها من الواقع السيرذاتي, كونها (جدّة الكاتب) والتي كانت تأخذ دور المعلّم والموجّه لخضوري أفندي وكاتم أسراره, والتي بوساطتها تم وصول خضوري إلى الالواح الطينية لمملكة سومر والحضارات الأخرى, إذ يقول الراوي:((بسماية تحمل ذاكرة الطين بين تجاعيدها وهي تنظر إلى أفق الاهوار لتستعيد كل ما مرت به وجهها لوحة لنحت بارز الأخاديد))([13]), فاختيار العجوز بسماية في رواية قارئ الطين له دلالات ومعانٍ تاريخية واجتماعية وفكرية وسيريّة عند الكاتب, كون اختيارها لهذا الدور يمثّل الخبرة والتجربة والتاريخ والحكاية من جهة, وسيرة ذاتية لكاتب الرواية من جهة أخرى, والذي منح لجدّتهِ هذا الدور لما في ذلك من اعتبارات ودلالات سير ذاتية, أراد الكاتب أن يوظّفها في عمله الروائي لتأخذ دورها كبطل في الرواية.

ولعل الملمح الدلالي الثالث والآخر للعنوان يتمثل في تشظٍ آخر, وإيقاع فكري للعنونة متمثّلاً في شخصية(محسن ثقافة/ قارئ الطين), وهو الذي اكتشف مذكّرات خضوري أفندي ووجودها في قبو غرفته في خان البتاويين, وبذلك يقول الراوي:((كانت محاولات محسن سريعة .. وهو يلتفت إلى باب الغرفة بعين قلقة تحسّس السلم قبل أن يراه وقبل أن يضيئه بمصباحه حتى وصل إلى قاع المكان ... ولاحظ كتاباً يقبع فوق المكتب الخشبي مغلّفاً بجلدٍ أصفر قريب إلى الحمرة ... عرف محسن إنّ هذا الدفتر هو مذكرات خضوري أفندي ... كما لاحظ أنّ تدوينها بدأ بتاريخ ١٩٤٤/٩/٣ ... حاول أن يسبر غور تجربة قراءة المذكرات ويتعرّف إلى شخصية خضوري من خلال مذكراته))([14]), فالمذكرات كانت المفتاح الإغرائي للدخول لمتن النص وسبر غوره وشرح متن الرواية عبر المذكّرات التي تحدّثت عن علاقة خضوري افندي بعائلته, وعلاقة العائلة بالخان والمناطق التي عاشت بها عائلة خضوري أفندي وقوميته اليهودية, وما تعرضت له من انتهاكات وهجرة وانتقال من منطقة لأخرى, وكان محسن ثقافة أحد ابطال الرواية, ومعنى من معانيها الدلالية والفكرية التي تحدّث عنها الراوي بلعبته السردية, وذلك بإدخال لعبة (المذكّرات) في النص الروائي وحبكها روائياً في لعبة سردية ربطت بين خضوري أفندي ومحسن ثقافة والجدّة بسماية، فكان العنوان ايحائياً وتواصلياً عبر مداخلاته في إيصال التصوّر المختزل عن الموضوع الذي تناوله الراوي بقراءة العنوان وارتداداته الدلالية والفكرية, بنسج خيوط اللعبة الروائية, وربطها بعنوان

حاوٍ وشامل, يعطي كل ذي دلالة دورها في التوصيف والتدليل بلغة وأسلوب, وأثبتت قيمة المتخيّل باعتباره ملجأ يطرق بابه الكاتب حين يعجز عن إيجاد أجوبة شافية لأسئلته((لتحقيق نصره الفكري والإنساني والموضوعي برسم ملامح أناه النموذجية))(.[15]

أمّا دلالة العنوان وخطابه البنائي والتوضيحي في المتن الروائي, فقد استطاع الكاتب أن يوصله بالبناء النصي للرواية في خاتمتها التي جعلت للعنوان وظيفته البنائية والدلالية والتوضيحية في الحدث المهم والأهم, إذ ربط الراوي بين قصائد ومسودّات(ستار جودي) واوراقه التي وجدها محسن ثقافة اثناء وفاته في غرفة الخان, فكانت اللعبة السردية وحبكتها في تناقل دلالة العنوان وتفسيره وتأويله وتدليله بحبك الاحداث المتخيّلة والواقعية بفنتازيتها وغرابتها وعجائبيتها، وحبكتها لقارئ الطين (ستار جودي)، إذ يقول الراوي وهو يتحدّث عن محسن ثقافة عندما اتجه لغرفة ستار جودي:((يتخيّل ستار جودي عندما يكلمّه عن ربط الأحداث ببعضها وانتقالاتها المفصلية بين سومر والحقبة الملكية وانتقالاً منها إلى مرحلة التسعينات ... متوجهاً إلى غرفة ستار جودي، اقترب من الأوراق، قلّبها، ورّقها، رزم ترتيبها من جديد، لم تكن مرقّمة لكنها كتبت بخط واضح بعنوان قارئ الطين))([16]), فرواية قارئ الطين هي مسودة توزعت بين ستار جودي ومحسن ثقافة ومن قبلهم خضوري أفندي والجدة بسماية, وهي تتحدث عن اليهود في مرحلة تاريخية معينة من تأريخ العراق, وربط ذلك في مرحلة التسعينيات من القرن المنصرم، وبذلك استطاع الكاتب أن يسلط الضوء على جزء مهم من سيرة غيرية لقومية عاشت في العراق، وسيرة ذاتية للكاتب أيضاُ, وبالتالي فإن العنونة(قارئ الطين) حملت مضامينها الدلالية والايقاعية والتوضيحية لمتن النص وارتبطت بجسدٍ لتكون بمثابة الرأس فيه، ولتمنح النص مفاتيح للوصول لدهاليزه, لتكون مرآةً عاكسة للعنوان وموضوعاته وشخصياته التي انقسمت بين ما هو فنتازي متخيل, وبين ما هو واقعي سير ذاتي وسير غيري, استطاع الكاتب فيه أن يبيّن المضمر والهامشي والواقعي والتاريخي والاجتماعي, في مرحلة مهمة من تاريخ العراق.

المبحث الثاني / الشخصية

الشخصية هي العامل المهم والأهم في تحريك الأحداث وصياغتها بما تنسجم مع الحدث والفضاء الروائي، سواء أكانت هذهِ الشخصية هي واقعية سيرية مأخوذة من الواقع الذي يحيط بالكاتب، أو

الشخصية المتخيّلة المقنّعة الورقية التي استنبطها الكاتب من وحي الخيال، وبما يتطلبه العمل الروائي بسياقه الدلالي والاجتماعي والتاريخي الأسطوري من شخصيات غرائبية وعجائبية خارقة أو اعتيادية, بحسب سياق النص وحسب الوظيفة التي تستند اليها.

والشخصيات واسمائها هي علامات لغوية وسِمات وصفية في العمل الروائي ، والاسم مشحون بالأحداث والتاريخ والإنجازات, وهو دال على معنى رمزي ومدلول وظيفي يقتضيه السياق في العمل الروائي([17]), وإنّ الروائي في تشكيله للفضاء داخل الرواية, يعمل على أن تكون الشخصية في بنائها منسجمة مع مزاجها وطبائعها بتأثيرها المتبادل بين الشخصية والمكان الذي تعيش فيه أو البيئة التي تحيط بها، فتكشف الشخصية عن التحوّلات الداخلية التي تطرأ عليها سواء أكانت مأخوذة من الواقع أو من شخصية اسطورية متخيّله(.[18])

وسنحاول في بحثنا المتواضع هذا تقسيم الشخصية إلى نمطين، يكمن النمط الأول بتسميته بالشخصية الواقعية, أو المأخوذة من الواقع, وهي شخصية ذات دلالات وأبعاد اجتماعية وسيريّة وواقعية مستوحاة من الواقع في الحياة العادية والتي تحيط بالكاتب, ويمكن تحويل أي شخصية لها ميزات معينة إلى الورق, فتكون كائناً نصياً معنوياً وليس مادياً وهو يتجسّد بتشكيله وجماليته لتكون شخصية ماخوذة من الواقع المعاش(.[19])

أمّا نمط الشخصية الأخرى فهي الشخصية الأسطورية المتخيلة، وإنّ الشخصية تُحدد بالوظيفة التي تستند اليها وليس بصفاتها ولاسيما في العمل الأسطوري المتخيل(.[20])

ولابد للشخصية في كل حكاية غرائبية أن تواجه صدمة بوجود عنصر فوق الطبيعي, وأن تعيش غموضاً وخوفاً واحياناً رعباً، باعتبار أنّ تجربة الشخصية تقع بين حدود الممكن وغير الممكن الإنساني وما فوق الإنساني، وعندما تنتقل الشخصية الأسطورية أو الأسطورة برمّتها إلى الأدب فإنّها تحفظ الطابع الرمزي والتنظيم الصارم والاضاءة الميتافيزيقية، فهي تواصل الافراد بثقافاتهم وتجعل الخبرات متاحة ومتعاطية من الحدث فتقدّم معنى فلسفياً لحقائق الأشياء في الحياة العادية(.[21])

وفي سياق حديثنا عن الشخصية الواقعية الاعتيادية في العمل الروائي, فقد انقسمت إلى: أ- الشخصية الرئيسة: وهي الشخصية التي تدور بها وحولها الأحداث وغالباً ما تكون هي المحور الرئيسي في العملية السردية([22]), والشخصية الرئيسة هي البطل في الرواية, وبقية الشخصيات تدور في فلكها

وتساعدها على أن تكون مركز كثافة النص, لتكون بعداً من ابعاده، وهي التي تأخذ دورها الطويل في الرواية بمسافتها السردية, وتكون حركتها في النص محورية, وتقود الفعل وتصل اليه إلى ما يريد الكاتب(.)[23]

وفي أثناء قراءة الرواية, يتّضح للقارئ أنّ الشخصيات المحورية الرئيسة هي كل من شخصية خضوري أفندي الشخصية اليهودية، المعلّم الذي قاد الاحداث بين مكانين روائيين هما(الخان) في حي البتاوين والمكان الآخر(الأهوار), إذ يقول الراوي عنه:((بيت خضّوري أفندي كان من بين البيوت التي أراد شكّور أن يبتاعها في حي البتاويين ... كان معلّماً في محافظة العمارة وبعدها انتقل للتدريس في مدارس بغداد الابتدائية))([24]), وخضوري أفندي الشخصية اليهودية زوج ليلى, ابن(سلطانة العجوز), التي وظّفها الكاتب مع الجدة بسماية توظيفاً دلالياً وسيريّاً, كون العجائز هنّ من يقمن بتربية الأبناء والأحفاد, وهنّ الموجه الحقيقي لهم، فقد استطاع الراوي أن يربط خيوط السرد بين سلطانة جّدة خضوري, وبين معرفة خضوري للجدة بسماية صاحبة الخبرة والتجربة وتقدير الأمور وقراءة مستقبل الأولاد في لعبة سردية ماهرة، وبذلك يقول الراوي:((اخبرته عن سلطانة وما لها من تأثير في شخصية خضوري حتى أنّها كانت واعزهُ الأول في اتخاذ قراراته، ثم أضاف محسن مقاطعاً لها, إنّ خضوري قد وجدها في شخصية بسماية جّدّة القرية وأضافت السيدة أنّها معلومة دقيقة))([25]), وبذلك استطاع الكاتب أن يربط بسماية (الشخصية المتخيلية) بالعجوز جدّة خضوري(سلطانة) وسر اختيار العجوز في هكذا موقف, كون الكاتب أراد أن يربط سيرته بسيرة خضوري أفندي, لذلك يقول الراوي:((سيكون ذا شأن في يوم من الأيام وانصرفت))([26]), إذ تحدّث الكاتبُ لكاتِب هذا البحث وأخبرهُ بأنّ جدّة الكاتب(بسماية) أم أبيه, كانت دائماً ما تردد بأنّ(حسن فالح / كاتب الرواية), سيكون له شأن في يوم ما(.)[27]

ويحدّثنا الراوي أيضاً عبر لعبته السردية في أوجه الشبه والاختلاف بين شخصية خضوري افندي وشخصية محسن ثقافة, فيقول:((توظيف كل هذه المفردات بزمن يسبقه بأربعة عقود ليس بصدفة، بحث عن الاختلاف بينه وبين خضوري غير انتمائه ... كلاهما معلّم وكلاهما مرّ بنفس الأمكِنة))([28]), والحقيقة التي أراد الكاتب من القارئ أن يكتشفها, هو أنّ الكاتب توزعت حياته السيرذاتية بين شخصيات الرواية المتمثلة في خضوري أفندي ومحسن ثقافة, والأدوار التي مارسوها في الحدث الروائي وتفاصيله التي تتطابق كثيرا مع حياة كاتب الرواية.[29]

أمّا الشخصية المحورية الأخرى فتمثلت في شخصية (محسن ثقافة), الذي كان محوراً مهماً لربط أحداث موضوع عائلة خضوري أفندي وكيف عثر على مذكراته, وهو يسكن في الخان بحي البتاويين, وعلاقته بشخصية (ستار جودي) وبذلك يقول الراوي وهو يتحدث عن محسن ثقافة:((كان ستار جودي يسكن غرفة في الدور العلوي من الخان ... وكان يزوّر الجوازات وستار جودي هو من زوّر الأوراق الثبوتية لمحسن, وهو من أختار اسمه محسن عبدالهادي بعد إن كان محسن سوادي))[30]، وقال الراوي أيضا:((صديقه وجاره في الخان فغرفة ستار ملاصقة لغرف محسن ثقافة، وكان في كل ليلة يقضيانها معاً يسمع ستار آخر ما كتبه محسن من قصائد))[31]، فمحسن ثقافة يعمل عاملاً في السينما يعرض الأفلام، وستار جودي مزور الهويات وهما صديقان متجاوران يسكنان في غرف متجاورة في الخان، ومحسن ثقافة:((القادم من العمارة والمشارك في انتفاضة عام 1990 في الجنوب والذي أُدرِج اسمه بقوائم المطلوبين، وهرب إلى بغداد مختبئاً وباحثاً عن عمل ليستقر به المطاف في أن يكون عاملاً في سينما الخيام))[32]، وهو الذي فتح غرفة ستار جودي ووجده ميّتاً مع اوراقه التي كانت عبارة عن قصائد تحمل عنوان (قارئ الطين), وهو الذي تحدّث عنه الراوي بصوته السومري الجميل إذ يقول:((ذاكرة محسن ثقافة تعبق برائحة الطين وكلماته الشعرية أصداء ترن ذكرياتها وكأنّها لوحة موناليزية رسمت بريشة فنان عبقري, لتسطّر لنا سرمدية الأهوار وخلودها الأبدي ... كل تلك الذاكرة كانت تبث على شاشة عرض لا يراها غير محسن ثقافة من خلال حلقات ضوء مصباحه المصوبة على آخر الجدار))[33], وقد سُئل كاتب الرواية عن محسن ثقافة في هذه التفصيلة؟ فاعترف لكاتب البحث بأنّ محسن ثقافة هو جزء من سيرة حسن فالح الذي كانت تنعته جدته بسماية بالمثقف, وترى بجمال صوته عندما يغنّي بأنّه صوت جنوبي يذكّرها في الأهوار وطور الغناء الجنوبي لقاطنيه[34]، فشخصية ستار جودي(مزوّر الأوراق الأصولية والهويات) ومحسن ثقافة, كانت علاقتهما متلازمة في عكس الواقع التسعيني في القرن الماضي, إذ انتشرت ظاهرة التزوير لتعكس للقارئ تناظر هذه الحالة مع بقايا اليهود الذين بقوا في بغداد والعمارة وغيرها من المناطق بأسماء مزورة خوفاً من البطش والقتل، وكذلك تزوير بعض الناس, لاسيما في جنوب العراق الذين زوروا هوياتهم وأسمائهم, خوفاً من الملاحقة الحكومية نتيجة مشاركتهم في انتفاضة 1990م, أو جرّاء تخلفهم عن الخدمة العسكرية حسبما يذكر الراوي الذي تحدّث عن الكثير من التفاصيل لشخصيات مُسطّحة في الراوية, أغنت القارئ بالكثير من القصص والحكايات في تلك الفترة من تأريخ العراق.

ب_الشخصيات الثانوية والمسطّحة :

أمّا في سياق حديثنا عن الشخصيات الثانوية والمسطّحة, فقد حشّد الراوي الكثير منها في المتن الروائي، وهي الشخصيات التي تكون مساعدة ومساندة لدور الشخصية المحورية في تحريك الأحداث, وتوجيه الحبكة الروائية في إغناء المواضيع المطروحة عن طريق ذكرها من قبل الراوي والحديث معها أو فيما بينها لتقود القارئ إلى حيثيات العمل القصصي أو الحكائي ويكون حضورها أقل أهميّة من الشخصية المحورية فتظهر وتختفي حسب الحاجة لها في العمل الروائي.[35]

وهناك حشد هائل من الأسماء والشخصيات الثانوية والمسطحة أخذت دورها في العمل الروائي حسب حاجة النص لذلك ومنها شخصية (ليلى اليهودية) زوجة خضوري أفندي, اللذان كان لهما دوراً ثانوياً في تحريك الأحداث وحبكة الرواية لوجهتها الحكائية مع الشخصيات المحورية ولاسيما مع خضوري أفندي ومحسن ثقافة.

ومن الشخصيات المسطّحة شخصية (يوسف مراد) جِد خضوري أفندي الذي يعمل في سوق العطارة وشخصية (طقّو) اليهودية معلّم السباحة الذي علّم خضوري أفندي السباحة، وعائلة خلّوصي الذين ((اشتهروا بالرز ... وهو أجود أنواع الرز))[36] ، وشخصية (كوهين) ((تاجر الحنطة والشعير في العمارة))[37] ، وشخصية زوج بسماية ((حسن الخليفة))[38] ، وشخصية حميد شبانة، الذي فقد ساقه في حرب الخليج وغيّر اسمه وعنوانه ليعمل في بغداد صباغاً للأحذية، وشخصية كميليا، التي تعرّف عليها محسن ثقافة في الخان، وجار خضوري أفندي واسمه (كلاويوس) الذي قال عنه الراوي:((شهد خضوري بيع أثاث جارهم كلاويوس في محلة النوراة قبل هجرته هو وزوجته إلى خارج العراق))[39] ، وغير ذلك العديد من الشخصيات المسطّحة التي ظهرت بحسب ما يقتضيه النص وما تحمله الحكاية وحبكتها الروائية, وما يقتضيه سياق النص من شخصيات واقعية أو ورقية قريبة من الواقع المعاش أو هي حقيقة منه، التي ساعد ظهورها في إغناء النص ودفع محور الحكاية وحبكتها إلى الأمام في اغناء الحدث الروائي.

أمّا في سياق الحديث عن نمط الشخصية المتخيلة(الفنتازية أو الأسطورية) فقد اخذت الرواية في منحاها العديد من الشخصيات المحورية والثانوية والمسطحة لهذا النوع من الشخصيات, ويرى تودوروف الذي تحدث عن هكذا شخصيات غرائبية, وهي التي تتكامل فيها شروط منها ما يجعل النص القارئ الذي يعدّ عالم الشخصيات هو نفسه عالم لأشخاص واقعيين، وأن يفسر بين ما هو طبيعي وفوق

الطبيعي للأحداث في النص, ما يثير القارئ عبر سياق تتبّعه للأحداث في التردد والتوتر تجاه امكانية تفسير الأحداث التي يعيشها القارئ مع الشخصيات في النص، وهذا ما يجعل الشخصية واحداثها داخل العمل السردي تفسر العمل بأنّه عجائبي.[40]

وإنّ أهمّ الاحداث الفنتازية في الرواية التي قادها كل من خضوري أفندي والجدة بسماية لـ(ايشان اعزيزة) وهي مملكة متخيلة اسطورية تقع في الهور قادت الجدة بسماية المعلم اليهودي خضوري أفندي اليها, وبذلك يقول الراوي((هل هي نفسها اليشان على اسمها ايشان عزيزة قال وهو يحاول أن يكرر الاسم بعد اضافة حرف الألف ...إنها هي وكررت الجدة الكلمات))[41] ، وإنّ الملكة التي تحكم اليشان هي شخصية رمزية أسطورية استوحاها الكاتب من منطقة تقع في الهور, وهو مكان واقعي زاره الكاتب في عمق المكان/الهور وسكانه من الناس الذين يعيشون حياة بدائية بسيطة, وإنّ اليشان مكان في عمق الهور فيه تلّ تكثر فيه الأساطير والروايات التي يتحدّث عنها أهل المنطقة.[42]

ويخبرنا الراوي عن الرحلة التي قادتها الجدة بسماية مع شخصية خضوري أفندي وفق تعليمات يصدرها((الكروكور))[43] ، لمجموعة الجنود الذين يأمرهم والذين استقبلوا مشحوف الجدّة بسماية وخضوري أفندي وبذلك يقول الراوي:((هكذا ختم خاطرته وهو يتوسط مجموعة من الجنود السومريين بقارب طوله بطولهم الفارع وهم يسورونه بشكل يشبه المربع يتقدمهم قائد الجنود))[44] , وفي سياق الحديث عن (الكركور) إذ يتحدث عنه الراوي:((شعر خضوري باهتمام الكروكور, وعندما سأله عن سبب تسميته بهذا الاسم أخبره أنّ جدّه جاء من مناطق جبلية في الشمال وسمّاه تذكيراً بانتمائهم إلى مكان نشأتهم الأولى))[45] ، ويبدو أنّ (ايشان اعزيزة) هو مكان اسطوري لِتجمّع اليهود الذين تهجّروا من مختلف مناطق العراق, كلّ يحمل حكايته وهم يأتمرون بأمر الملكة (العزيزة)، والملكة هي التي أطلقت على خضوري أفندي لقب قارئ الطين، وهي شخصية فنتازية اخبرنا الراوي عنها:((أدرك الآن معنى أن تكون نصف إله، نصف إله بعينين سوداوين مدورتين كحليتين، وبشرة خفيفة السمرة، وأنف مستدق ناعم الأرنبة يلقي ضلاله الناصية على شفتين مكتنزتين ..وتوزع بعض الكهنة بين من يقف بالقرب من عرشها ... كانت في بداية عقدها الرابع ترتدي ثوباً طويلاً أبيض بينما تكشف عن كتفها الأيسر، فيشعر أنّ النور ينطلق من هناك وباقي الأضواء بالنسبة إليها هزيلة ... كأنّ يديها يد تمثال رخامي))[46] ، وإنّ الملكة الأسطورية كشفت لخضوري أفندي العديد من الأسرار وعرف بأنّها تُسيّر أعمال المملكة بوزرائها وخدمها وجنودها, وأخبرته بأنّ جدّته سلطانة كانت تعلم بأنّه سيصل إلى هذا المكان حسبما أخبرته, وإنّ

الجدّة بسماية هي إحدى وصيفات الملكة العزيزة, كلّمته, وكلّمت الجدة بسماية بلغة خاصة تشبه اللغة السومرية القديمة, بلغة هو يعرفها ولكن لايعرف كيف لا يعرفها, وهي محاطة بالجوق الموسيقي الذي كان يهتم به السومريون آنذاك.[47]

أما في سياق الحديث عن الشخصية الاسطورية (الثانوية والمسطحة) في رواية قارئ الطين فقد ظهرت شخصية (العفريت) الذي يسكن اليشن و(الطنطل) الشخصية الاسطورية التي تعيش في الأهوار, إذ يقول الراوي عن ذلك:((اليشن ما هي إلاّ مساكن العفاريت العصاة الذين انشقوا عن طاعة نبي الله سليمان واتخذوا من هذه الأماكن مساكن لهم))[48] ، أمّا شخصية الطنطل تلك الشخصية الأسطورية التي زجّها الكاتب في احداث الرواية لما لها من قدرات خارقة, تبعث في القارئ التوتر والخوف والتعجب, كونها شخصية اسطورية متخيّلة, يتناسب وجودها في الحدث الروائي, وفي الهور تحديداً, وبذلك يقول الراوي((مخلوقات خرافية يذكرها سكان الأهوار (الطنطل)، سمع بأنّه مخلوق يشبه الانسان, لكنّه بمواصفات مختلفة وله قدرة خارقة تشبه قدرة الجن، يتحرّك سريعاً ويختفي متى يشاء))[49] ، ولعل مثل وجود هكذا شخصيات اسطورية ذات قدرات خارقة تبعث الخوف والقلق والتوتر, كونها من صفات العمل الأسطوري الفنتازي التي تدفع القارئ إلى تصوّر أحداث خارقة تقع بين الواقع واللاواقع, ولاسيما في وجود الماء والاحراش التي تنبت في الاهوار كالقصب البردي, وهو لغز فنتازي, وبيئة مناسبة لخلق جو من التوتر والخوف، لذلك يقول الراوي عن الماء في الراوية: ((المياه دائما ما كانت تضمر الاسرار كأنها المكان المناسب لها))[50] ، ويقول الراوي متحدثا عن رحلة خضوري أفندي أيضا:((حركة وسط القصب القريب من حافة المياه، تلفت انتباهه، الحركة تزداد بخطوات ثقيلة يحاول الرجوع إلى الخلف، تفلت من وسط القصب دجاجة ماء تبعث الرعب في قلبه))[51] ، فالحديث عن الشخصيات التي وافقت رحلة الجدة بسماية وخضوري افندي إلى عرش(ايشان اعزيزة) وسط مياه الهور رافقته الكثير من الشخصيات المسطّحة, كالجنود والعفاريت والجوق الموسيقي ووصيفات العزيزة والكروكور, وشخصيات اسطورية كالطنطل وبطة الماء والمدونون في الواح الطين, وغيرها من الشخصيات التي أغنت الحدث الفنتازي المتخيل, وأعطت الحدث الروائي زخماً أسطورياً وجمالياً, ساعد الكاتب على رسم صورة ومشهد فنتازي في غاية الإبداع, معجونة بسحرية الأسطرة وفنطازيا المكان والشخصيات التي تتفاعل فيه, لتحفّز اللاوعي عند القارئ, وتمنحه دلالة الأشياء ورمزيتها بمعزل عن حقيقتها الصرفة، وهذا ما نجحت فيه الرواية الفنتازية المتخيلة التي تحويها الرواية الجديدة الآن.

المبحث الثالث : الحدث الروائي الفنتازي

الحدث هو سرد قصصي يتناول موقعا مرتبطا بالأحداث التي تشكّل الحبكة, في تسلسل أحداث الرواية, ومنها يستمد الراوي عوالم النص وشخصياته بأحداث واقعية, والحدث الفنتازي يمتزج بأحداث متخيّلة تقع بين الحلم والحقيقة, والواقع واللاواقع، بأحداث وموضوعات يلفّها الغموض والعتمة والضوء، تحت تأثير المباغتة والقلق والخوف وخرق الواقع، ليحبك الراوي حدثاً متخيلاً في تكوين بنية النص الروائي ومتنه الحكائي, للخروج عن نمط الكتابة العادية إلى نص روائي متجدد، يحمل في متخيلات أحداثه وقائع وموضوعات من الواقع, يتم طرحها وتناولها بما ينسجم مع المتن الحكائي المتجدد المتحول بتأثير العجائبية والغرائبية، ورسم صورة جديدة ومغايرة للأحداث الظاهرة والمضمرة.[52]

ورواية قارئ الطين تتضمن مجموعة من الأحداث والقصص والحِكوات التي شكّلت النص الروائي الذي نحن بصدد دراسته، وإنّ أهم حدثين رئيسين في الرواية هما: الأول هو حادثة الفرهود التي تعرّض لها اليهود عام 1940م, وأدّت إلى تهجيرهم داخل وخارج العراق وتغيير اسمائهم واماكن سَكَنهم ولجوئهم إلى ظاهرة تزوير الهويات والأسماء, ليحموا أنفسهم من الخطر الذي يحدق بهم, وبذلك يقول الراوي:((كان خضوري يتفحص منظر البيت من الخارج والأزقّة والمقاهي والناس, محاولاً طبع أخر صورة في ذهنه عن المكان، لكن صوت ليلى قاطعه, وحاولت استعجاله بالرحيل عن كل شيء، وذكرت بما أصاب أختها عندما تم اغتصابها في العام 1941 م في حادثة الفرهود كما سمّوها آنذاك، كانت خطوات خضوري أفندي مثقلة حزينة وهو يغادر المكان)).[53]

أمّا الحدث الآخر الذي تناولته الرواية, هو الانتفاضة التسعينية في العراق, وهو يربط ما تعرّض له اليهود في العراق, وما حدث في تلك الانتفاضة التي هرب من جرائها الكثير من الناس عن محل سكناهم, ليهاجروا إلى مناطق أخرى مختلفة, مختفين بأسماء وهمية مزوّرة، وبذلك يقول الراوي متحدثاً عن ستار جودي الذي تخفّى باسم وهمي, ليشتغل بعملية التزوير للكثر من الناس الذين طلبوا منه ذلك, وهم من اليهود ومن غيرهم: ((لا يحب أن يغيّر أسمه الأول لأنّه سيجلب له الشبهات اليه, إذ تعرّف عليه أحد من سكان العمارة ، لاسيما أنّ أجهزة الأمن لا تملّ البحث عن أسماء المشتبه في مشاركتهم بالخدمة العسكرية, وربط ذلك بتزوير هويات اليهود))[54] ، وقد استطاع الكاتب أن يربط بين الحدثين الرئيسيّن في حبكة سردية تداخلت بها خيوط السرد في محورين متداخلين, وربط بينهما الراوي في الدخول إلى الخط السردي المتخيّل عبر الزمن السردي المدوّن في المذكّرات, وهو زمن استرجاعي قاده محسن ثقافة

منطلقاً من الخان الذي يحوي مذكرات خضوري افندي, ليكون التداخل محبوكاً بلعبة سردية تداخلت بها الأسطورة بغرائبيتها وعجائبيتها, وبين الأحداث الواقعية الغامضة التي تعرّض لها اليهود, وربط ذلك بانتفاضة التسعينيات وما شابهها من أحداث وتفاصيل يومية عاشتها الشخصيات في الرواية.

وهناك الكثير من الأحداث والتفاصيل والقصص والحكوات الصغيرة والمتفرّعة والصغيرة التي أغنت المتن الحكائي للنص الروائي, وساعدت الراوي والمتلقي في تعقيد وتشابك الحبكة الروائية بأحداثها وحكاياتها التي تناولها الراوي عبر عناصر الحكاية الفنتازية, بما تمثّله من عوالم سردية واساطير كشفت الخاصية الانفعالية لتشكيلات الحبكة ومنها الرمز, وهي التي تتمثل به، فالرمز يتركّب على الكيفية السحرية التي تبدّت وتشاكلت بها الموضوعات والأشياء بتشكيل النص على نحو درامي يسيطر عليه طابع الصراع ليقود إلى خرق الواقع باللاواقع، بسحر اللغة وتمثيلاتها، وبتأثير اللون والسحر، والغموض والخوف بعجائبية وغرائبية الأحداث التي يتناولها النص وطريقة تناول الحدث.[55]

لقد تداخلت الأسماء وتماثلت بأدوار رمزية واقعية ومتخيلة، أخذت ادوارها من الواقع واللاواقع، ومن حقيقة خيالها الأسطوري الرمزي المتداخل، وبذلك أخذ محسن ثقافة مهنة المسرح كرمزية لمسرحة الأحداث وعرضها من الواقع كمشاهد وأحداث فلمية ومشاهد مرمّزة، وكذلك وجود (الحمامة البيضاء) مع ليلى زوجة خضوري أفندي التي ترمز إلى السلام والوئام، وليلة منتصف الشهر, ذلك الحدث الفنتازي الرمزي الذي أخذ من الضوء والعتمة والزمنية وحركة الأقمار والحساب وقراءة الالواح والكتب الصفراء القديمة، كل ذلك يرمز إلى الأسطورة التي تشترك مع الدين في الظواهر الثقافية الانسانية لمتنح للحدث تمنّعاً على التحليل المنطقي المجرد للأحداث، فالأسطورة هي((الأرهاص الاعتقادي الأول عند الانسان وهي دلالة المقدسات))[56]، فالحدث الاسطوري يتم اسقاطه على الواقع الحاضر فنقوم بتشريحه وفضح تناقضاته في جميع الأصعدة ولا سيما السياسية والاجتماعية منها.

وهناك أحداث اخرى داخل الرواية منها انبثاق الضوء من الهور في ليلة منتصف الشهر عندما يكون القمر بدراً، وهو حدث غرائبي اسطوري تحدث الراوي فيه عن رحلة خضوري والجدّة بسماية في عمق الهور إلى الملكة ايشان اعزيزة، فيقول((فجأة انبثق ضوء من منتصف اليشان كان عبارة عن عمود من النور يلامس اطراف السماء، ما دعاه إلى أن يشعر بالخوف اثناء تواجده هناك))[57]، وبقول في موضوع آخر من الرواية:((قرر أن ينتظر ليلة انتصاف الشهر ليكون القمر بدراً، يأخذ أحد المشاحيف ليكتشف سر الضوء وهسهسة القصب، كان القصب يتكلم مع نفسه))[58]، فحادثة انبلاج الضوء في منتصف

الشهر وخروجه من منصف الهور وذهاب خضوري افندي إلى ذلك المكان برفقة الجدة بسماية, وهي رحلة فنطازية جسّدت معالم الهور واسراره وحكاياته الشعبية والاسطورية, وهي حادثة لها علاقة بوجود أهل الطين/ أهل الأرض، ومدى العلاقة التي تربط تلك القيم والعادات والتقاليد, وسبل العيش مع سكان هذه المنطقة، فتتشكل الأحداث العجائبية بمنطق فوق الواقع لدحض الواقع ومحاولة إيجاد بديلاً عنه, عبر حضور الأسطورة التي تمثّلت بلغة شعرية تبعث الخوف والرعب بتشكيلات واقعية, تتمثل بصورة وحدث يتناغم فيه الضوء والعتمة والأمان والخوف والواقع واللاواقع, بمرجعيات لغة تتضمن الموثولوجيا والدين والحضارة, لكسر أفق التوقع والخروج عن المألوف اللغوي والواقعي لمنطق الأشياء, فالحدث الفنتازي الرئيس في هذه الرواية ذو مغزى وعمق ودلالة, يغور بالقارئ في عمق الهور ويصنع أحداثه الفنتازية, لإيصال رسالة للقارئ بأن القومية اليهودية هي قومية ذات أصول ميثولوجيا وتأريخ عميق في هذه البقعة من الأرض، وإنّ حادثة الفرهود هي حادثة موجعة ووشم تأريخي موجع لهم في العراق, وبذلك يقول الراوي:((إنّك لا تستمع إلى الموسيقى لانشغالك بذاكرة مولهة كلّما حاولت أن تنساها أو تجبر نفسك على النسيان, يبرز يوم الفرهود كيوم حجري ثلاثي الأبعاد))[59]، ويتسأل الراوي بلسان القومية اليهودية التي كانت تسكن تلك المناطق في العراق قائلاً:((هذا ما قدّر لكم، لكنّنا تركنا بصمتنا الواضحة على سلوكيات أهل الأهوار وعاداتهم وحياتهم، فهل ستتركون أنتم ما يتعلق في ذاكرة من سيرثونكم بعد ترك الأرض؟))[60]، فالأحداث الغرائبية والعجائبية في رحلة خضوري أفندي داخل الهور تثير الكثير من الأسئلة، وتستوقف القارئ للنظر في الأبعاد الثلاثية للقضايا التي ناقشها الكاتب بلسان الراوي لإيصال رسالة إنسانية بحتة بعيدة عن التعصب القومي والديني.

ولو تفحّصنا أحداث الرواية وتفاصيلها لوجدنا بأنّ الكاتب كان يعي ما يرمز له، وكأنّه يغرق النص بالمجهول ويؤكد على غياب الحقيقة التي كانت تورث الغموض وتبعث القلق في التفاصيل التي يحبكها الواقع, والتي تنتج عنصر المفاجأة والصدمة التي يجدها القارئ في بناء الحكاية، فخضوري أفندي يمثّل العِلم والثقافة والحضارة والانفتاح والمدنية، والعجوز بسماية تمثّل الخبرة والتجربة والمطاولة والصبر والسماحة والبساطة، وملكة اليشان, الملكة الجميلة الحنطاوية التي ينبعث منها النور, وهي ترمز للعراق بملكوته وقدسيته ونوره وبهائه, والذي هو الآمر الناهي، وما الألواح الطينية والموسيقى إلاّ رموزاً للحضارة والفن والمدنية، التي كان ولايزال شعارها الإنسان والإنسانية.

المبحث الرابع / الفضاء (الزمان والمكان)

يخلق المتخيّل زماناً ومكاناً خاصّين, بفعل تعاليه على الواقع, فيكسر حاجز الرتابة الزمنية والمكانية ليخرج الزمان والمكان عن اطر المألوف, وليس للزمان بالضرورة علاقة بالزمن العام ولا للمكان علاقة بالفضاءات المتعارف عليها, فهو يقود إلى مختلف يوفّر امكانية التوازن الذاتي والجماعي(.([61]

والمتخيّل في الفضاء الروائي يعمل على استجلاء الواقع ورسمه بصورة فنطازية تحولّه من الواقعي الى اللاواقعي, كونه بناء ناتج عن وعي تام من قبل المبدع, فهو يريد الانفصال عن الواقع, لأنّه لا يجد فيه عالماً, فيخترع عالما آخر يغنيه عن عالمه, فيتحول إلى يوتوبيا(.([62]

ويمكن تقسيم الفضاء السردي في الرواية إلى فضاء واقعي سردي معقلن, مأخوذاً من الواقع مطابقاً له أو قريب منه, أمّا القسم الآخر فهو الفضاء السردي المتخيّل (الفنطازي), ويحوي هذا التقسيم كل تفصيلات الزمان والمكان من ضوء وعتمه, وواقع ولاواقع, وذاكرة مرتبطة بالأمكنة تحرّكها عملية السرد الزمني وتبطئها حسب سياق النص وتحوّلاته الفكرية والدلالية الواقعية أو الفيزيقية.

وسنحاول استجلاء عناصر المكان وفضائه, بالوقوف على أهم الأمكنة التي دارت فيها الاحداث وتفاعلت معها الشخصيات, كون الأمكنة والازمنة التي حوتها رواية قارئ الطين كثيرة ومتشعّبة, ولكننا نستطيع الوقوف عليها في كشف اثارها وتأثيرها في الأحداث والشخصيات داخل العمل السردي.

أمّا أهم الأمكنة في الرواية, فتمثلت في (الخان) الذي يقع في حي البتاويين في بغداد, والذي جرت فيه الكثير من الأحداث انطلاقاً من حادثة الفرهود وتهجير أصحابه وشراؤه من قِبل تاجر العقارات, ويصف الراوي الخان قائلاً:((كان الخان عبارة عن بيت من بيوت اليهود القديمة, يتكون من دورين مبني على الطريقة البغدادية يتوسّطه فناء مفتوح (حوش) ترى السماء من خلاله.....))([63]), ويردف الراوي متحدثاً عن حي البتاويين الذي يقع فيه الخان قائلاً:((يُعدّ حي البتاويين قلب بغداد النابض في عصر من العصور التي مرت عليها, وجاءت كلمة البتاويين من كلمة (البته) وهي قرية من قرى الحلة, هجرها بعض أهلها ليستوطنوا ويعملوا في بساتين هذه المنطقة... ومعظم ساكني هذا الحي وعلى جانبي شارع السعدون هم من العوائل اليهودية التي تقطنه))([64]), وقد جرت أحداث الرواية انطلاقاً من الخان (بيت خضوري أفندي) الذي هجره وسكن فيه مؤجراً فيما بعد (ستار جودي, ومحسن ثقافة, وكميليا) ومنه انطلقت الرواية بحبكتها وحكايتها مع العوائل اليهودية التي تهجرت من حي البتاويين, ليقطنه مجموعة من البيوتات التي تمارس الدعارة حسبما يخبرنا الراوي, إذ يقول:((الشارع يخلو من المارّة إلاّ من بعض

السيارات المسرعة... وبعض الصراخ هنا وهناك, قد يكون لخلاف بين القحاب والقوادين على أجرة الزبائن...))([65]) , ويقول الراوي أيضاً:((انطفأ حي البتاويين وتحوّل بمرور السنين إلى حيّ بائس عتيق, متعب, بيوت الدعارة تنتشر في أرجائه, الوجوه لا تتشابه, الكل يختلف عن الكل, المكان يلفظ آخر أنفاس بيئته القديمة))([66]), فالكاتب أراد إيصال رسالة للقارئ, بأنّ ظاهرة البغاء في هذه البقعة التي هي مركز سكان اليهود في بغداد, هي ظاهرة مفتعلة ومقصودة من قبل الحكومة في زمن التسعينيات وما قبلها, وقد رمّز الكاتب حكومة تلك المرحلة بجماعة (الشوارب الكثة), واستطاع الراوي أن يصوّر الأمكنة بكاميرا تلتقط كل الاشياء والتفاصيل بعين الظاهر والمضمر من الاشياء والأمكنة, وعلاقتها بحكاية النص الروائي, وربط زمن الاربعينيات الذي كان يقطن في تلك الأمكنة اليهود وغيرهم, في بغداد والعمارة والهور والحلة وغيرها من مناطق العراق, إذ ربط الكاتب بين زمن الخان في الاربعينيات وزمن بقاياه وآثاره, ومنطقة البتاويين التي عاشها زمن المحكي الروائي في التسعينيات, فاستطاع الراوي حبك أحداثه وشخصياته بعلاقتها بالأمكنة وزمنها, وعلاقة الأمكنة التي تحيط بالخان وبمنطقة البتاويين (كحديقة الأمة) مثلاً, التي كانت مرتع الجنود ومحطة العساكر التي تحتك بالبتاويين وتقطن في فنادقها القديمة المتهالكة, وتحدّث الكاتب عن موضوع التزوير بمرحلة التسعينات, كونه حرفة اشتغل عليها اليهود لتغيير اسمائهم وحماية انفسهم, ومراقبة ممتلكاتهم للفترة التي امتدت من الخمسينيات إلى مراحل متأخرة من العقد التسعيني, وبذلك يقول الراوي متحدّثا عن محسن ثقافة مزور الهويات:((لا يجب أن يغير اسمه الأول لأنّه سيجلب الشبهات اليه إذا تعرف إليه أحد من سكان العمارة لا سيما أنّ أجهزة الأمن لا تملّ البحث عن اسماء المشتبه في مشاركتهم بالانتفاضة التسعينيّة في العراق))([67]), واستطاع الكاتب أن يربط خيوط السرد والحبكة الروائية بعلاقة الامكنة ببعضها في انتقال بعض شخصيات الرواية الرئيسة من مكان لآخر, ليعطي للسرد الروائي زخماً في الحدث والرؤيا والزمن السردي.

وتحدّث الراوي عن الذاكرة وعلاقتها بالمكان والزمان, في تصوير الخان ومنطقة البتاويين والمقاهي والاسواق التي تحيط بها, وذَكَرها في الرواية لتعطي زخما ذاكراتياً لتلك المرحلة الزمنية, ولِإغناء النص الروائي في حبكة الأحداث وسردها, وتحدث الراوي عن (كازينو سليكت في حي البتاويين, ومقهى سلومي, ومقهى حسن عجمي, وحديقة الأمة, وسوق حنّون) وغيرها من الاماكن التي ترتبط بالذاكرة التي استطاع الكاتب أن يربط عنصر الزمان مع المكان ضمن واقع ملموس يتكثّف به الزمان والفضاء ويتحول الى مرئي من زاوية نظر فنية, ويندمج الفضاء بالشخصيات وذاكرة الأمكنة التي تؤنسن الاشياء

ليندمج بحركية الزمن وحبكة الروي, ليعبّر عن مضامين ورؤى وأفكار ترتبط بالذاكرة وتندغم فيها, وتحوّلها إلى عمل فني ليحاكي الواقع ويعيد صياغته مثلما يريد الكاتب ومثلما هو, ليحقّق شاعرية المكان وليثير جماليته, وليسقِط عليه قيمته الحضارية والشعرية(.[68])

أمّا القسم الآخر من الفضاء السردي, هو الفضاء السردي (المتخيّل), الذي اشتغل فيه الكاتب على الفضاء الاسطوري والعجائبي والغرائبي الذي يتمثل بالأمكنة والأزمنة, التي تتمثل في الاستيهامات والصور والمواقف والأحداث فوق الطبيعية, التي تحتاج إلى أمكنة تتلائم وطبيعة السرد المرعبة أو المعجزة او المخفية, وهي أمكنة خلقها الراوي بزمن سردي فنطازي لتكون مخرجاً للتحولات واعطاب الادراك, فيتماهى الفضاء في حكاية وأحداث عجائبية غرائبية متخيّلة([69]), ولا يدخل المكان بزمنه الباطني المتخيل الخاص بوصفه انتشاراً مجرداً للأحداث ولحركة الشخصيات, بل بوصفه بطلاً من الأبطال, ومحوراً محرّكاً لعناصر السرد الروائي المعروفة(.[70])

استطاع الكاتب أن يرسم صورة للمكان والزمن الفنطازي في الرواية, فاختار (الهور) بكل تشكيلاته وخصائصه خيالاً فنطازياً, فهو يحتوي على النباتات والأحراش المتنوعة والماء والعتمة والضوء والضلال والقصب والاصوات والحيوانات, فضلاً عن الحكايات والأساطير التي يتناقلها سكان الهور, عن وجود مخلوقات غريبة وعجيبة تعيش في الهور, وهو مكان تأريخي حضاري مائي يحوي الكثير من الأسرار والحكايات, فضلاً عن وجود الآثار والحضارة السومرية والبابلية, وتقليد سكانه للعادات والتقاليد القديمة, واستطاع الراوي أن يحوك ويربط حكايات قارئ الطين واحداثها برحلة خضوري افندي والجدة بسماية للوصول إلى مملكة (ايشان اعزيزة), المكان الفنطازي الذي تحكمه (العزيزة) بكل مخلوقاته الغريبة والعجيبة, التي ترابطت وشائج حكاياتها وحديثها في سيرة أهل الهور والايهامات الفيزيقية التي صورّها الكاتب, وتحدث عنها بزمان فنطازي منفصل عن الزمن الخارجي, بل وحتى نكاد أن تختزله بزمن خاص, منفصل عن البنية السردية الداخلية للرواية , وبذلك يقول الراوي:((أخبرته أنّها من هناك وهي مازالت تشير بيدها إلى الجهة المقابلة... ولتخبره أنّ هناك من ينتظره خلف مجاميع القصب وسط الماء, من حيث جاءت هي وزوجها ليستقرا هنا... وستنتظره هناك عند انبلاج اليشان وانفراج القصب))([71]), وفي لحظة قراءة المذكرات عند العثور عليها من قبل محسن ثقافة, استطاع الكاتب الدخول إلى السرد الروائي المتخيّل في أفق جديد عبر الزمن المدوّن في المذكرات, وأن يدخل في زمن سردي متخيّل خاص, عن طريق مذكرّات خضوري وبقراءة محسن ثقافة, ليقرأ ما كتبه خضوري أفندي في مذكراته في رحلته الفنطازية, كان يلفّها الخوف

والغموض والضوء والظلال والعتمة وحركة الطيور والماء, ليرسم الراوي مشهداً مثيراً وسرداً متخيلّاً فنطازياً, غارقاً بالمجازفة وغائراً بالمتاهات التي تحتاجها الأحداث الغرائبية والعجائبية والاسطورية في تتبع حركة السرد, وربط حادثة الفرهود وهجرة اليهود بأحداث انتفاضة التسعينات, هذه الرحلة الملغّمة بالعجائب والغرائب استطاع الكاتب فيها أن يربط الاسطورة بالواقع ويمزج الأحداث في لاواقعيتها, لإيصال مغزى أو رسالة أهل الأهوار ومملكة ايشان اعزيزة الذين تجمّعوا بعد حادثة الفرهود, ليقول الراوي بلسانهم:((هذا ما قدّر لكم, لكننا تركنا بصماتنا الواضحة على سلوكيات أهل الاهوار وعاداتهم وحياتهم فهل ستتركون أنتم ما يتعلق في ذاكرة من سيرثونكم بعد ترك الأرض؟))([72]), فيختلط صوت الراوي مع صوت الكاتب ولسان شخصياته وهو يتحدث بلسان خضوري أم لسان محسن ثقافة, أو بلسان الكاتب وهو يوجه السؤال إلى القارئ, فيقول الراوي:((إنّك لا تستمع إلى الموسيقى لانشغالك بذاكرة مولهة كلّما حاولت أن تنساها أو تجبر نفسك على النسيان يبرز يوم الفرهود كيوم هجري ثلاثي الأبعاد))([73]), وبذلك فإنّ محاولة الكاتب التخلص من الواقع للارتقاء إلى ما فوق الواقع, يعتمد على نقده, وفضح تفاصيله وجزئياته, عبر الخيال الذي يُظهر تلك الأحداث ويكشف عوالم مجهولة في النفس الإنسانية(.([74]

فالأمكنة بفضائها المتحول إلى أزمنة داخلية متشابكة ومترابطة, تشاكلت فيها الأحداث بأمكنتها الواقعية والمتخيّلة, ليكون المكان بطلاً, يُضاف إلى أبطال الرواية عبر إعادة تشكيله وربطه بذاكرته الحية التي تستحق.

الهوامش

[1] – ينظر : الفنتازيا ولاعقلانية الواقع ، منشورات مجلة الشرارة ، النجف ٢٠١٠م ، مقال نقدي – احمد نجم الزبيدي:9

[2]– ينظر : صورة المتخيّل في السرد العربي (البناء والدلالة) ، ليلى احمياني ، دار رؤية/ مصر _ ط١ / ٢٠١٦م : ص١٩.

[3]– ينظر : تنوعات الأسطورة وجماليات التآويل ، أحمد الناجي ، دار تموز – دمشق ط١ _ ٢٠١٧م : ٢٨.

[4] – ينظر : صورة المتخيل في السرد العربي, ليلى احمياني : ٣٢.

[5]– ينظر : فاعلية الذاكرة في تليباتي بين اسطرة الواقع وسحر الخيال ، إيمان العبيدي (كتاب مشترك)، دار غيداء_ الأردن ، ط١ – ٢٠١٩م : ١٢.

[6]– عوالم السرد الفانتازي في رواية (امرأة القارورة) لسليم مطر ، الناقد عبد الباسط عرب يوسف ، مجلة دراسات اللغة العربية وآدابها ، نصف سنوية محكمة ، العدد الرابع والعشرون ١٣٩٥هـ / ٢٠١٧م : ٩٣.

[7] – ينظر : صورة المتخيل في السرد العربي:72

[8] – ينظر : عتبات جيرار جينيت من النص الى المناص ، عبد الحق بلعابد, منشورات الاختلاف_ الجزائر، ط١ / ٢٠٠٨م : ١٥–١٦.

[9] – قارئ الطين (رواية)، حسن فالح ، دار سطور – العراق ، ط٢ _ ٢٠١٧ م: ٥٢.

[10] – م. ن: ١٢٢.

[11] – م. ن: ١٧٣.

[12] – م . ن : ١٠٧.

[13] – قارئ الطين : ١٠٨.

[14] – م. ن : ١٠٣.

[15] – صورة المتخيل في السرد العربي ، ليلى احمياني ، دار رؤية – مصر ، ط١ / ٢٠١٦ : ٣١٢.

[16] – قارئ الطين : ٢٧١.

[17] – يُنظر : شعرية الخطاب السردي، محمد عزام ، اتحاد الكتاب العرب – دمشق ، ط١ / ٢٠١٥ : ١٨.

[18]– يُنظر : صورة التخيل في السرد العربي (البناء والدلالة), ليلى احمياني : ٢٥٨.

[19] – يُنظر جماليات التشكيل الروائي ، دراسة في الملحمة الروائية (مدارات الشرق) لنبيل سليمان ، د.محمد صابر عبيد_و د.سوسن البياتي : ١٧١.

[20]1– ينظر : الشخصية في المسرح المغربي بنيات وتجليات ، عز الدين بونيث اكادير، جامعة ابن زهر المغرب ، كلية الاداب والعلوم الإنسانية _١٩٩٢ م : ٣٣.

[21] – ينظر : النقد الثقافي في تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية ، آثر ايزابرجر ، ترجمة وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسي ، المجلس الأعلى للثقافة _ القاهرة ، ط١ / ٢٠٠٣ م : ١٧٧.

[22] – ينظر : الرواية السيرذاتية ، موسى الحوري ، دار غيداء – الأردن ، ط١ / ٢٠١٦م: ٣٣.

[23] – ينظر : بناء الشخصية في الرواية (قراءة في روايات حسن حميد)، احمد عزاوي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق,ط1/ ٢٠٠٧م : ٣٨.

[24]1– قارئ الطين : ٣٠.

[25]2– م. ن : ١٦٣.

[26]3- م. ن : ١٢٧.

[27]4- مقابلة بين كاتب البحث وبين الكاتب حسن فالح صاحب رواية قارئ الطين في بغداد بتاريخ ١١ /٣/٢٠٢٢م, يوم الجمعة ظهراً في مقهى الشابندر شارع المتنبي .

[28]5- قارئ الطين : ١٤٠.

[29] _ لقاء مع الكاتب حسن فالح في بغداد بتاريخ 2022/3/11م.

[30]1_ قارئ الطين :75.

[31]2_ م . ن : 20.

[32]3_ م. ن : 20.

[33]4_ م . ن : 71.

[34]5_ لقاء مع الكاتب حسن فالح بتاريخ 11/ 3/ 2022 في بغداد بشارع المتنبي يوم الجمعة .

[35]1_ ينظر : الشخصية في القصة القصيرة جداً، مصطفى اجماهيري، مجلة أفاق المغربية، العدد(9)، 1991م : 114.

[36]2_ قارئ الطين : 38.

[37]3_ م. ن : 120

[38]4_ م . ن : 108.

[39]1_ قارئ الطين: 66.

[40]2_ ينظر: الغرائبية في الرواية العربية : 19.

[41]3_ قارئ الطين :186.

[42]1_ لقاء مع الكاتب بتاريخ 2022/3/11 .

[43]2_ قارئ الطين :210.

[44]3_ م. ن :199.

[45]4_ م. ن :220-221.

[46]5_ م . ن :224-226.

[47]1_قارئ الطين : 186

[48]2_ م . ن :173.

[49]3_ م. ن :173

[50]4_ م . ن :186.

[51]5_ م. ن : 189.

[52]() ينظر: عوالم السرد الفنتازي في رواية امرأة القارورة, (مجلّة) : 103.

[53]1_ قارئ الطين : 33.

[54]2_ م. ن : 75.

[55]1_ ينظر : تنوعات الأسطورة وجماليات التأويل : 46.

[56]2_ ينظر : م. ن :94.

[57]3_ قارئ الطين : 177.

[58]4_ م . ن : 182.

[59]1_قارئ الطين : 218.

[60]2_ م. ن : 228.

[61]1_ ينظر: المتخيل والتواصل مفارقات العرب والغرب, محمد نور, دار المنتخب العربي / بيروت– 1993م : 9–10

[62]2_ ينظر: صورة المتخيل في السرد العربي (البناء لدلالة), ليلى احمياني: 60.

[63] _ قارئ الطين :109.

[64] _ م. ن :11

[65] _ م. ن : 76

[66] _ م. ن :13

[67] _ قارئ الطبن : 75

[68] : الغرائبية في الرواية العربية, د. محمد افضاض , دار فضاءات الأردن– ط1, 2016م :78

[69] : ينظر : العجائبي في الأدب, حسين علام ,الجزائر, ط1 (د.ت) :160.

[70] _ بنظر: بنية الشكل الروائي, حسن بحراوي, الدار البيضاء, المركز الثقافي العربي, بيروت_1990 م :53.

[71] _ قارئ الطين : 183–184.

[72] : قارئ الطين : 228.

[73] : م. ن : 218.

[74] : ينظر: فاعلية الذاكرة في تليباثي بين اسطرة الواقع وسحر الخيال, اعداد وتقديم ومشاركة إيمان العبيدي, دار غيداء, الأردن, ط1 – 2019م: 66

References

The Clay Reader (a novel), Hassan Faleh, Dar Sutur - Iraq, 2nd Edition - 2017.

1. Building the character in the novel (reading in the novels of Hassan Hamid), Ahmed Azzawi, Publications of the Arab Writers Union - Damascus, 2007.
2. The Structure of the Narrative Form, Hassan Bahrawi, Casablanca, the Arab Cultural Center, Beirut_1990 AD.
3. Variations of Myth and Aesthetics of Interpretation, Ahmed Al-Naji, Dartmouz - Damascus, 1st / 2017 AD.
4. The Aesthetics of Novel Formation, A Study in the Novel Epic (Orbits of the East) by Nabil Suleiman, Dr. Muhammad Saber Obaid and Dr. Sawsan Al-Bayati.
5. The Biographical Novel, Musa Al-Hauri, Dar Ghaida - Jordan, 1st / 2016 AD.
6. Personality in Moroccan Theater: Structures and Manifestations, Azzedine Bouneth Agadir, Ibn Zohr University, Faculty of Arts and Humanities _ 1992 AD.
7. The Poetry of Narrative Discourse, Muhammad Azzam, Union of Arab Writers - Damascus, 1st / 2015 AD.
8. The Image of Imagination in the Arabic Narration (Construction and Significance), Laila Ahmayani, Roya House - Egypt_I 1/2016 AD.

9. The Thresholds of Gerard Genette from the Text to the Manas, Abdelhak Belabed, Publications of Difference - Algeria, 1st / 2008 AD.
10. Al-Ajaybi in Literature, Hussein Allam, Algeria, 1st Edition (D.T).
11. Exoticism in the Arabic novel, d. Muhammad Afadh, House of Spaces of Jordan - 1st Edition, 2016.
12. The Effectiveness of Memory in My Talibati Between the Myth of Reality and the Magic of Imagination, Iman Al-Obaidi (joint book), Dar Ghaida_ Jordan, i 1 - 2019 AD.
13. The Zubaidi star. Imagination and Communication: Paradoxes of Arabs and the West, Muhammad Nour, The Arab Team House, Beirut - 1993.
14. Cultural criticism in an initial prelude to the main concepts, Athr Isaberger, translated by Wafa Ibrahim and Ramadan Bastawisi, The Supreme Council of Culture - Cairo, 1/2003 AD.

magazines
• Fantastic Narrative Worlds in the Novel (The Woman of the Bottle) by Salim Matar, critic Abdul Basit Arab Youssef, Journal of Arabic Language Studies and Literature, semi-annual refereed, issue twenty-four 1395 AH / 2017 AD.
• The Personality in the Very Short Story, Mustafa Jamahiri, Moroccan Afaq Magazine, Issue (9), 1991.
• Fantasia and the Irrationality of Reality, Al Sharara Magazine Publications, Najaf, Iraq_2013, critical article - Ahmed Al-Zoghbi.

Interview and discussion:
• An interview between the author of the research and the writer Hassan Faleh, the author of the novel The Clay Reader, in Baghdad on March 11, 2022 AD, on Friday at noon in the Shabandar Café, Al-Mutanabbi Street.